# الشبهة التاسعة والعشرون
# الوضع فى الأحاديث

المقصود من الوضع فى الحديث النبوى، هو الافتراء والاختلاق أى صياغة كلام فى الشئون الدينية، وإسنادها إلى الرسول ﷺ، على أنه هو قائلها زوراً وافتراء عليه، وهذه الظاهرة لا ينكرها أحد، وهى موضع إجماع عند علماء الحديث وغيرهم من علماء الأمة.

لكن منكرى السنة المعاصرين وبعضا من أسلافهم يملأون الدنيا صياحا للتهويل من شأن هذه الشبهة، والقصد عندهم معروف، وهو التشكيك فى ميراث الأمة من رسولها ﷺ، يريدون أن يعتقد للناس سريان الوضع على الأحاديث المتداولة فى كتب الصحاح والسنن وغيرها، وهم يعولون على هذه الشبهة كثيرا لأن علماء الأمة - كما تقدم - معترفون بظاهرة الوضع فى الحديث، وما دام الأمر - كذلك - فلماذا لا يطرقون الحديد وهو ساخن؟! ويتصل بهذه الشبهة شبهة أخرى، وهى ما يطلق عليه عند علماء الأحاديث مصطلح «الاسرائيليات» ولم نفرد لهذه الشبهة مبحثا خاصا بها، لأنها تندرج - فى الواقع - فى ظاهرة الوضع بمعناها العام. وإن كان بين الشبهتين فرق فهو الآتى:

إن الباعث على الوضع عند غير بنى اسرائيل له صور متعددة سيأتى الحديث عنها بإذن الله.

أما الوضع عند اليهود (بنى إسرائيل) فيكاد الباعث عليه أن يكون محصوراً فى الكيد فى الإسلام، وتضليل المسلمين فى عقيدتهم وسلوكياتهم فى الحياة.

**تفنيد هذه الشبهة ونقضها:**

لو كانت ظاهرة الوضع فى الحديث قد غفل عنها علماء الأمة من محدثين

ومفسرين، وأصوليين وفقهاء، ولم يكتشفها إلا منكرو السنة المعاصرون، لكان لهم حق فى ترويجها والاستناد اليها فى إنكارهم للسنة، ولما استطاع أحد الوقوف أمامهم فيما يقولون ولكن لسوء حظهم، وفضح أمرهم، وتسجيل الخزى عليهم، أن علماء الأمة منذ البدء الواسع فى تدوين الحديث وجمعه، فطنوا إلى وجود هذه الآفة، وحاصروها من كل جهة، وأبطلوا مفعولها تماما، ومنكرو السنة ذرات فى عالم الغيب، ليس لهم وجود إلا فى علم الله المحيط، الذى لا يعزب عنه شئ فى الأرض ولا فى السماء وصدق رسولنا الكريم القائل: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

## جهود السلف الصالح:

لقد بذل سلفنا الصالح، رضوان الله عليهم - جهوداً شاقة فى التصدى لظاهرة الوضع، ونشأ علم النقد «الحديثى» من أجل تمييز الحديث النبوى من الحديث الموضوع المختلق، الذى لم يقله ﷺ.

بل تناول النقد الأحاديث غير الموضوعة، وصنفوها أصنافا ثلاثة على معايير النقد الدقيق الذى أخضعوا له كل ما روى عن النبى ﷺ، فكانت هذه الأصناف.

- الحديث الصحيح.
- الحديث الحسن.
- الحديث الضعيف.

كما صنفوا الأولين باعتبار كثرة الرواة وقلتهم للحديث الواحد صنفين آخرين: حديث مشهور (متواتر) وحديث غير مشهور (آحاد) ثم صنفوا الحديث الضعيف أصنافا عدة، مثل:

المرسل - المقطوع - الموقوف - المعضل - المرفوع - الغريب - الشاذ - المسند - المتصل - المدلس - المتروك - المنقطع - المضطرب - المنكر - إلخ ... إلخ.

وكل هذه «الألقاب» أو الأوصاف، كانت ثمرة لقواعد النقد الدقيقة الحكيمة، التى وضعها هؤلاء الرجال الأفذاذ.

**الحديث الموضوع:**

درس علماء الحديث ظاهرة الوضع دراسة فاحصة، سواء كان الواضع من بنى إسرائيل أو من غيرهم. وما وضعه بنو إسرائيل أطلقوا عليه مصطلح «الإسرائيليات» سواء كانت فى الحديث أو التفسير أو فى السيرة والتاريخ.

أما ما وضعه غير بنى إسرائيل فقد درسوا أسباب الوضع فيه ثم نصوا على الأحاديث الموضوعة، وجمعوها فى مصنفات خاصة بها، وبينوا الأسباب التى حملتهم على الحكم عليها بالوضع، أحيانا من دراسة السند، وأخرى من دراسة المتن.

فلو أن حديثا فى سلسلة سنده عشرة رواة عدول تقبل روايتهم، إلا واحداً منهم مطعون فيه، فإنهم لا يقبلون روايته، ويحكمون بوضع الحديث أو ضعفه – ولم يجعلوا كثرة الرواة العدول شفيعا فى قبول الحديث، الذى فى سنده كذاب أو مدلس، وهذا شدة حيطة منهم فى نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ.

كما نصوا على أسباب الوضع فأحكموا القول، وأصابوا، ومن أسبابه التى ذكروها:

- التعصب للأجناس أو البلدان.
- التعصب للفرق الكلامية والفقهية والسياسية.
- أصحاب الأهواء والبدع الذين يروجون لأهوائهم ويدعون الناس لاتباع بدعهم.
- القصاصون والإخباريون الذين يريدون جذب الناس للاستماع اليهم، مثل الفنانين – الآن – المغرمين بالشهرة وإعجاب «الجماهير» بهم.

والمعروف أن ظاهرة الوضع فى الحديث ظهرت متأخرة عن بدء التدوين، ولما فشا أمرها شمر لها العلماء عن ساعد الجد، ونشأ نتيجة لذلك:

**علم الجرح والتعديل:**

وفيه رصد العلماء أحوال الرواة مثل الكذب، والابتداع والتساهل، والغفلة والنسيان. والتعصب، واتباع الهوى فى جانب التجريح.

أما فى جانب التعديل فسجلوا ما كان عليه المعدلون واحداً واحداً من العدالة والضبط، والعدالة وصف جامع لصفات الكمال فى الرواة.

فعلم الجرح والتعديل ديوان شامل لكل الرواة، سواء كانوا رواة الحديث الصحيح، أو رواة الحديث الحسن، أو رواة الحديث الضعيف، أو رواة الحديث الموضوع؛ أسماؤهم، وكناهم، وألقابهم، وصفاتهم الخُلُقية، إنه اشبه ما يكون بـ «ذاكرة الكمبيوتر» الحديث خازن لمعلومات تسعف المحتاج إليها عند الطلب. وبمعونتها يحكم على الحديث المروى بما يستحقه من الصفات والألقاب:

الصحة والحسن، والضعف والوضع كل ذلك تم ومنكرو السنة المعاصرون لم يكونوا فى الوجود شيئا مذكورا.

وبعض الوضاعين كانوا كما يزورون متن الحديث يزورون السند، ويختارون الرواة – أحيانا – من المعروفين بالصدق والعدالة والضبط، وهذا ما كان يخدع نقاد الحديث، لأنهم كما يعرفون الوضع عن طريق المتن، يعرفونه عن طريق لسند، وهذه هى محاصرة للوضع من كل جهة، التى أشرنا إليها فى بداية هذا المبحث.

والأمارات التى تدل على الوضع من النظر فى المتن هى كما يأتى:

- ركاكة التركيب أو الألفاظ، مما يقطع أنه لا يصدر عن فصيح عالم بصحة البيان، ومرامى الكلام، أو وجود خطأ لغوى نحوى أو صرفى.
- مخالفة الحس والمشاهدة – (فى غير المعجزات) كما ورد فى

حديث موضوع أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا، وصلّت متجهة إلى الكعبة.

● مخالفة ضرورات العقل، التى أشرنا إليها فى شبهة ادعائهم أن السنة تخالف العقل، لا مخالفة العقل مطلقا، لأن أحاديث المعجزات الصحيحة خارقة للمعهود العقلى.

● مخالفة الحقائق التاريخية المقطوع بها، مثل أن النبى ﷺ وضع الجزية على أهل خيبر عام ( ٧ هـ ) والجزية شرعت بعد فتح خيبر، ولم تكن مشروعة قبلها ولا فى أثنائها.

● إذا وافق الحديث هوى الراوى المتعصب لهواه.

● دلالة الحديث على ثواب عظيم مرتب على طاعة يسيرة، أو على وعيد شديد عقوبة على معصية صغيرة وهذه مجرد نماذج تدل على الوضع فى الحديث من ناحية المتن.

**أمارات الوضع فى السند:**

أمارات الوضع فى السند كثيرة، من أشهرها:

● أن يكون الراوى معروفا بالكذب فيحكم على الحديث بالوضع، لكن بشرط أن لا يكون للحديث طريق أخرى راويها ثقة معروف عند نقاد الحديث بالعدالة.

● أن يعترف الراوى بالكذب، كنوح بن أبى مريم الذى اعترف بأنه وضع بعض أحاديث فضائل سور القرآن، ليجذب الناس إلى القرآن ويصرفهم عن اللهو.؟

● أن يثبت أن الراوى روى عن شيخ ثبت أنه لم يلقه أومات قبله، أو ولد بعده.

● أن يفهم من الحديث أن راويه يروج لشئ نافع له خاصة كبائع الهريسة الذى وضع «الهريسة تشد الظهر» وهكذا.

**والخلاصـــــة:**

إن هذه الشبهة لا جدوى فيها لمنكرى السنة، وهى شبهة بائرة كما بارت كل الشبهات المتقدمة، وذلك لأن آفة الوضع حسمها العلماء رضى الله عنهم، قبل انصرام القرن الثامن الهجرى، ووصلت إلينا محسومة. وإضافة إلى أمارات الوضع فى السند والمتن ترك لنا سلفنا العظيم مصنفات عديدة نصوا فيها على الأحاديث الموضوعة، منها:

- الموضوعات لابن الجوزى (٣ أجزاء).
- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى (جزء واحد).
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضعة (جزآن) للكتانى.
- اللالئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة (جزءان) للجلال السيوطى.

* * *